اسم الدرس : تفسير سورة العلق

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المجالس القرآنية

بإذن الله –عز وجل– نبدأ اليوم أول جلسة من جلسات التفسير أو "جلسات قرآنية"، لا نريد تسميتها جلسات تفسير بالمعنى الحرفي.

ونرجو أن يَصْدُق علينا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا إلّا نزلت عليهمُ السَّكينةُ وغشيتهمُ الرَّحمةُ وحفَّتهمُ الملائِكةُ وذَكَرَهمُ اللَّهُ فيمن عندَه)[1]

أسأل الله –عز وجل– أن يكون هذا المجلس مجلسًا تحفه الآن الملائكة، وأن تتنزل علينا الآن السكينة والرحمة، وأن يذكرنا ربنا –سبحانه وتعالى– الآن فيمن عنده.

سريعًا قبل أن نبدأ هذه المجالس –مجالس القرآن–؛

أن يجلس مجموعة من الناس في بيت من بيوت الله –عز وجل– ويقرءون سورة معينة،

ويأتون بأي تفسير مبسط مثل:

- أيسر التفاسير للشيخ أبو بكر الجزائري،
- أو تفسير الشيخ السعدي،
- أو مختصرٌ لتفسير الإمام ابن كثير، أو أي تفسير آخر مبسط..

[1] [عن أبي هريرة:] ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ تعالى يتلونَ كتابَ اللَّهِ ويتدارسونَه بينَهم إلَّا نزلت عليهمُ السَّكينةُ وغشيتهمُ الرَّحمةُ وحفَّتهمُ الملائِكةُ وذَكَرهمُ اللَّهُ فيمن عندَه
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ١٤٥٥ • صحيح • أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وابن ماجه (٢٢٥)، وأحمد (٧٤٢٧) مطولاً، وأبو داود (١٤٥٥) واللفظ له •

هؤلاء القوم حين يجتمعون في مسجد ويقرءون السورة ويتدارسونها بينهم،
يقول أحدهم: أنا قرأت في هذه الآية معنًى ما، ويقول الآخر: أنا قرأت في هذه الآية هذا المعنى،
هذه الطريقة التي نراها بسيطة جدًا، **هذه الطريقة زكاها النبي صلى الله عليه وسلم ويذكرها الله –عز وجل–.**
الأحداث التي تحدث كثيرة، والطاعات كثيرة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على أشياء معينة **يذكرها الله –عز وجل– فيمن عنده.** فمنها:

- المجالس القرآنية التي تقام في المساجد..

هذه المجالس هي الوقود الحقيقي، وهي الزاد الحقيقي للقلب المنطلق إلى الله –عز وجل–
يلزم أن يكون الغذاء هو القرآن، فغذاء القلب هو القرآن.

فحين يجلس الإنسان في بيوت الله، فتحفه الملائكة وتتنزل عليه السكينة والرحمة ويذكرهم الله –عز وجل– فيمن عنده، ويبارَك في هذا المجلس ببركة القرآن؛ لأنه كلام الله –عز وجل–..
هذه المجالس تكون مجالس مباركة؛ ليس لأن المتكلم فيها شخص معين، أو المسجد مسجد معين، أو المستمعين الذين يستمعون للمجلس، أو حتى لو لم يكن هناك مستمع ولكنهم كانوا يتدارسونه سويا ويتواصون بينهم بما فيه، ليس لأجل كلّ هذا؛ بل لأن **هذه المجالس مباركة لبركة القرآن.**

هذه المجالس نرجو الله –سبحانه وتعالى– أن يُكتَب لها القبول وأن تنتشر في الأرض،
وأن نعود كما كان في عهد الصحابة حين كانوا يجلسون مجلسًا، فيقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "ذكرنا ربنا"[٢] فيقرأ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه القرآن.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجمع أهل المشورة، ويجمع كبار أهل بدر، ويجمع كبار الصحابة ليتناقشوا في الآيات..
يسأل في مرةٍ عن: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر:١]، ويسأل في مرة عن آيات من سورة البقرة، ويسأل في مرة عن آيات أخرى، وتتعدد الأجوبة ويصلون لرأي في هذه الآيات.

[٢] كان عُمَرُ بنُ الخطّابِ رضِي اللهُ عنه يقولُ لأبي موسى ـ وهو جالسٌ في المجلِسِ ـ: **يا أبا موسى ذَكِّرنا ربَّنا،** فيقرَأُ عندَه أبو موسى وهو جالِسٌ في المجلِسِ ويتلاحَنُ
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٧١٩٦ • أخرجه في صحيحه

بإذن الله عز وجل نبدأ الآن مجلسنا، ونتناول فيه سورة العلق..

والأَولَى والأفضل أن نحدد في كل مرةٍ قبل المجلس السورة التي سنتحدث فيها، بحيث يتسنى لك أن تقرأ في تفسيرها وتصلي بها وتراجع حفظها، فتُقِيم علاقةً مع هذه السورة مرةً أخرى..

لأنك حين تترك سورة من سور القرآن فترة طويلة؛ تجف العلاقة بينك وبين السورة!

فعلى سبيل المثال: متى كانت آخر مرة صليتَ فيها بسورة فاطر؟

ومتى كانت آخر مرة قرأت تفسير سورة سبأ؟

ومتى كانت آخرُ مرة فتحت المصحف ونظرت على معاني سورة الأحزاب؟

فالبعد عن القرآن يجعل العلاقة تجفّ!

نعجب، **كيف للإنسان أن يحيا قلبه وهو بعيدٌ عن القرآن؟!**

البداية

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى} [العلق: ١-٦].

فنبدأ بإذن الله -عز وجل- سريعًا، هذه وقفاتٌ مع سورة العلق.

والكلام في سورة العلق لما بدأتُ أنظر فيما كتب المفسرون فيها، ووجدت فيها تسجيلات صوتية كثيرة وسلاسل، كلها فقط عن سورة العلق!

اهتمام بالغ من العلماء والمفسرين بهذه السورة، اهتمام بالغ من العلماء والمفسرين والدعاة بسورة العلق، لماذا؟

لأنها البداية!

ولا بد أن تكون بدايةُ الإنسان بدايةً صحيحةً حتى يستطيع أن ينطلق بشكل صحيح..

تخيل أن إنسانًا قد بدأ بداية خاطئة، فسار بشكلٍ خاطئ، فهذا يستحيلُ أن يصل!

ولكنهُ عندما يبدأ بشكلٍ صحيح، ويكُون الطريق منذُ البداية مسددًا وموجهًا، فإنهُ يصل بإذن الله -عز وجل-.

فسورة العلق أهميتها أنها هي البداية ومهما فكر الإنسان كيف تكون البداية بعقله لن يصل. فالقرآن يعلمك ما لم تعلم، ويبصرك بما لم ترى، فعندما تبدأ من تنظر إلى العالم وإلى نفسك وإلى صفات الربوبية من خلال سورة العلق تُعلمك ما البداية الصحيحة وتعرف نفسك بشكل صحيح وتفهم ما معنى الربوبية وما معنى الرب وما أول علاقة بين الإنسان وبين ربه ،بين الخالق سبحانه وتعالى وبين المخلوق؟ فالسورة تبدأ بداية تجعلك ترى كل شيء بوضوح.

نبدأ سويًا سورة العلق: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى} [العلق: ١-٦]. هذه الآيات إلى ما قبل {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى} نزل بها جبريل لأول مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: اقرأ. فقال: (ما أنا بقارئ)[٣]، فضمه حتى بلغ منه صلى الله عليه وسلم الجَهدَ، ثم أرسله فقال: اقرأ. فقال: (ما أنا بقارئ)، فكرر ذلك ثلاثًا حتى قال له: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}.

٣ [عن عائشة أم المؤمنين:] أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ، فكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فكانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وهو التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فقالَ: اقْرَأْ، فقالَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَقُلْتُ: **ما أنَا بقَارِئٍ**، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ} [العلق: ١]- حتَّى بَلَغَ - {عَلَّمَ الإنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥] فَرَجَعَ بهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حتَّى دَخَلَ علَى خَدِيجَةَ، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فقالَ: يا خَدِيجَةُ، ما لِي وأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وقالَ: قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي فقالَتْ له: كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أخُو أبِيهَا، وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ ما شَاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فقالَ ورَقَةُ: ابْنَ أخِي مَاذَا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما رَأَى، فقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حتَّى حَزِنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فِيما بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا منه مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِن رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، فَكُلَّما أوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ منه نَفْسَهُ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ رَسولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذلكَ جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإذَا طَالَتْ عليه فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذلكَ، فَإذَا أوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ فقالَ له مِثْلَ ذلكَ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٩٨٢ • [صحيح] •

الانطلاق والوصول إلى الله

أولًا: نقف سريعًا وقفات مع أول آية.

أول شيء أن أول كلمة نزلت {اقْرَأْ}. قيل: اقرأ القرآن... وكأن البداية في علاقتك بالله –عز وجل– هي بقراءة القرآن... فأنت كيف ستصل إلى الله؟ أنت تتمنى أن ترضي الله –عز وجل– وتريد أن تفهم ماذا تفعل.

كل الحقائق الكونية العظيمة موجودة في القرآن، فإنسان من غير القرآن فعلًا إنسان أعمى، فلو الإنسان بدأ طريقه بدون اتصال بالقرآن سيكون إنسانا تائها ينظر ويقدر الأشياء على غير قيمتها ويُغَر في الأشياء، لا يعلم القيمة الحقيقية للأشياء.

فأول شيء وأول وقفة معنا في السورة هي قضية القرآن، وأنه لا وصول لك بدون القرآن. ليس فقط القضية أن وصولك لله سيتأخر؛ لا.. بل **لا وصول لك إلى الله –عز وجل– بدون القرآن**.

الفوائد كثيره فنجمع الفوائد سريعًا سويًا.

ثانيًا: أن السورة بدأت بأمر {اقْرَأْ} ولم تبدأ بـ"سنقرئك" مثلا. فيلزم على الإنسان أن يفهم أنه حتى ينطلق إلى الله –عز وجل– تجد أن مفاد السورة {اقْرَأْ}، {لَا تُطِعْهُ}، {وَاسْجُدْ}. **مفاد السورة أنك تخرج منها بأوامر تنفذها، و منهيات تجتنبها**، فالإنسان الذي لن يبدأ في التنفيذ لن تصل.

هذه الأوامر كالسلم ...{اقْرَأْ} هذه سُلَّم، {قُمْ فَأَنْذِرْ} سُلم، {قُمِ اللَّيْلَ} سُلم... معراج يصعد بك، لو لم تطبق هذه الأشياء مهما فكرت أو تمنيت، فلا وصول لك.

عندما قال الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى عليه السلام: {أَنَا اخْتَرْتُكَ}[طه:١٣] قال: {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ}[الأعراف:١٤٤]. وعندما قال الله سبحانه وتعالى لمريم عليها السلام: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}[ال عمران:٤٢] قال: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}[ال عمران:٤٣]. **فكل تشريف معه أمر**، فلما يأتيك تشريف معين هذا ليس معناه أنك وصلت، لا.. بل معناه زيادة الأوامر والتكاليف التي عليك.

فالبداية بدأت بـ{اقْرَأْ} فأنت يلزمك أن تتقرب بالشبر، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (من تقرب إليَّ شبرًا تقربت منه ذراعًا)[٤]؛ فعليك أن تبدأ أنت الشبر الأول.

مشكلتنا -في الأغلب أو دائما- في الشبر الأول، لأن الله يقول: (من تقرب إليَّ شبرًا تقربت منه ذراعًا) فالذراع سهل، الذراع من الطريق إلى الله -عز وجل- مستنير ففيه سهولة لأنك في معية الله، فتمشي في الذراع بسهولة فتتقرب الذراع يتقرب الله إليك باعًا، تمشي في الباع وتبدأ في المشي فيأتيك الله هرولة، فتبدأ تجري أنت في الطريق. فكل الطريق سهل ما عدا أول شبر... **أول شبر لا بد فيه من بذل ومشقة**{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}[البلد:١١]: هناك عقبة في البداية لا بد أن تقتحمها، وتُلقي بنفسك فيها.

فالشبر بدأ بـ{اقْرَأْ}، ثم بعد ذلك: {قُمْ فَأَنْذِرْ}، وبعد ذلك: {قُمِ اللَّيْلَ}. فهذه الأوامر لا بد للإنسان أن يطبقها. هذه الأوامر لم تأتِ لتتلى فقط، بل تتلى وتُطبق. فتخيل أن **أول آية في القرآن: أمر**... افعل كذا.

كثير من الناس لا يريد أن يسمع كلمة: افعل ولا تفعل... لا يريد -حتى إن سمع- أن يخرج بأعمال، هو يريد أن يخرج فقط بكلام... لا.

لذلك أول شيء في القرآن أمر، كما أنه أمر لا يستطيعه النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: (ما أنا بقارئ). فلما يُطلب منك أشياء أنت لم تفعلها من قبل: لا تقل لن أستطيع. فماذا كان الحل؟ {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}: أن تستعين بالله حتى لو لم تعرف.

عندما يقال لك: اعمل في الدعوة، فاستعن بالله وابذل الأسباب؛ الله قال بعد ذلك: {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}. هذا القلم سبب. إذا لا بد للإنسان حتى لو طُلب منه أشياء لم يفعلها من قبل أن يستعن بالله ويبذل

---

٤ [عن أبي هريرة:] قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، واللَّهِ لَلَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بالفَلاةِ، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإذا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي، أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦٧٥ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) واللفظ له •

[عن أبي هريرة:] يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ منه باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.
وفي روايةٍ: بهذا الإسْنادِ، ولَمْ يَذْكُرْ: وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ منه باعًا.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦٧٥ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) واللفظ له. •

...فلا يقال له: صل قيام الليل، فيقول: أنا لم أصله من قبل! اقرأ القرآن، يقول: صعب! اطلب العلم، يقول: لا أعرف! ادع إلى الله، يقول: لا أعرف كيف! لا!!

فأول كلمة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هو أمر لا يستطيعه النبي صلى الله عليه وسلم. فالبداية كانت بـ{اقْرَأْ}، لكن كان المتوقع أن البداية تكون بـ{قُمِ اللَّيْلَ}، أو {قُمْ فَأَنْذِرْ}...لكن نزلت {اقْرَأْ} قبل {قُمِ اللَّيْلَ} و{قُمْ فَأَنْذِرْ}، **هذه الأوامر الثلاثة هي أركان الإنسان المسلم الصالح المصلح**...ثلاثة أركان:

١- يقرأ، يتعلم كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
٢- يدعو إلى الله.
٣- يقوم الليل.

لماذا كانت البداية بـ{اقْرَأْ} قبل {قُمِ اللَّيْلَ} و{قُمْ فَأَنْذِرْ}؟

لكي يمشي الإنسان بشكل صحيح، يحتاج إلى القرآن. إذا كنت تدعو إلى الله عز وجل من غير قرآن ستضل، ستضيع. حتى لو قمت الليل وقلبك انشغل عن معاني القرآن ستضيع.

بعض الناس يمكن لقيام الليل أن يطغيه. كما يقول ابن القيم وكثير من السلف يقول: ((**أن يبيت نائمًا ويصحو نادمًا خيرٌ من أن يبيت قائمًا ويصحو معجبًا**))... بمعنى: أن يصحو في الصباح- يصبح- معجبًا بقيامه هو أسوأ ممن

غلبه النوم ثم استيقظ نادماً على تقصيره بين يدي الله عز وجل.

الشاهد أن البداية بـ{اقْرَأْ} قراءة القرآن هو الذي يعطيك النور في كل حياتك بعد ذلك... كما بوّب الإمام البخاري: **العلم قبل القول والعمل**،{ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك}[محمد:١٩]. إذًا لا بد للإنسان لما يقرأ أن يتعلم من خلال القرآن.

إذًا أول شيء –كما قلنا– أن البداية جاءت بالأمر.

ثاني شيء: أنا لا أستطيع!>>>استعن بربك {بِاسْمِ رَبِّكَ}: **تستعين بالله عز وجل، وتذكر اسم الله عز وجل على كل شيء، الصعب و السهل**. كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللَّهُمَّ لَا سَهْلاَ إِلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا)[٥] مما يعني أنه **ليس هناك أي شيء سهل –حتى لو كان حفظ الآيات الصغيرة– إلا أن يُسهله الله عز وجل**.

فإذًا اقرأ أو أي أمر من أوامر الدين يعلمك القرآن– في أول آية نزلت –أن أي شيء لا بد أن تستعين بالله عز وجل فيه ، وأن تذكر اسم الله عز وجل عليه، وأن تستحضر دائما معية الله عز وجل لك أثناء السير في الطريق إلى الله عز وجل. لا بد أن تفعل هذا، وإلا ستَنسب الأشياء إلى قدرتك!

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى *** فأول ما يجني عليه اجتهادهُ

لو أن الله لم يعن الإنسان، فأول شيء سيضَيَّع الإنسان: عقله وتفكيره واجتهاداته فيسير بعيدا عن الله عز وجل.

اعرف نفسك واعرف ربك

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}: هنا بدأ الكلام عن الربوبية، وعن صفة الخلق لله عز وجل التي هي من صفات الربوبية.

لماذا لم يقل: "اقرأ باسم الرحمن الرحيم"؟ لماذا بدأ بـ{اسْمِ رَبِّكَ} من البداية في هذا الطريق الطويل الذي كانت بدايته {اقْرَأْ} والنبي صلى الله عليه وسلم يحاول أن يسجد عند الكعبة وأبو جهل يقول له: لئن

٥ [عن أنس بن مالك:] اللهمَّ لا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلًا، وأنت تجعلُ الحَزْنَ إذا شئتَ سهلًا
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٢٨٨٦ • إسناده صحيح على شرط مسلم • أخرجه ابن حبان (٩٧٤)، وابن السني في «عمل اليوو والليلة» (٣٥١)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٦٦) •

رأيتُ محمدا يُعفر وجهه بين أظهركم لأطئن عنقه[٦]، هذا الطريق الطويل الذي انتهى بـ{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}[النصر:١-٢]؟ لماذا بدأ {باسم ربك الذي خلق} الربوبية والخلق؟

لو تأملنا أول ٥ آيات أو ٦ آيات: سنجد أن كلمة "ربك" ذكرت مرتين، وكلمة "الإنسان" مرتين في أول ٥ آيات–و ٣ مرات في أول ٦ آيات–، وكلمة (الخلق) ذكرت مرتين.

فكأن البداية: اعرف نفسك واعرف ربك، وهذه البداية إذا بدأ الإنسان بغيرها أو بعيدًا عنها سيضل. فالذي لا يعرف حقيقة نفسه وكم هو فقير، وكم هو ضعيف، كم هو محتاج... الذي لا يبدأ هذه البداية ولا يعرف أن الله قدير، وكيف أنه سبحانه وتعالى يخلق من العدم، وكم له فضل على الإنسان وهو الذي رباه بنعمه... سيضل. فهذه هي البداية، كأن بداية القرآن: "اعرف ربك واعرف نفسك"... لابد أن تعرف هذه الحقيقة، لا بد أن تعرف أن الناس كلهم {عَلَق} أن تعرف أن الله خلقهم كلهم من عدم، تعرف أن لك ربا يربيك بالنعم، أنت تربو وتزيد في كل شيء: في جسمك وفي مشاعرك وفي أفكارك وفي فهمك وفي قوتك وفي أموالك، كل شيء... هذا النمو لا يحدث لك أنت فقط، بل للكون كله {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[الذاريات:٤٧]: كل الكون يربو برعاية الله له لأنه ربه ولذلك نقول {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة:٢].

الله سبحانه خلق هذا الكون بصفات معينة، من هذه الصفات أن **الكون ينمو تدريجيا –هذه سُنة**. فقبل أن يولد الإنسان يتكون في٩ شهور في رحم أمه يكون مني مع بويضة، ثم العلقة: تتعلق في جدار الرحم، ثم تكبر وتنمو تتخلق المضغة، ثم العظام يكسوه اللحم، وبعد ذلك يولد صغيرا ضعيفا. تنتظر ٩ شهور لكن لن يأتي لك شخص في الصف السادس الابتدائي مثلا! لن ينزل يجري مثلا! فأنت تنتظر ٩ شهور وتعتقد أن الأمر قد انتهى. وهذا يشبه حال الإنسان حين يلتزم، يظن –بعد مجاهدة لمدة ٩

٦ [عن أبي هريرة:] قالَ أَبُو جَهْلٍ: هلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قالَ فقِيلَ: نَعَمْ، فَقالَ: واللَّاتِ والْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذلكَ لَأَطَأَنَّ على رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ في التُّرَابِ، قالَ: فأتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وهو يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأُ على رَقَبَتِهِ، قالَ: فَما فَجِئَهُمْ منه إلَّا وهو يَنْكُصُ على عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بيَدَيْهِ، قالَ: فقِيلَ له: ما لَكَ؟ فَقالَ: إنَّ بَيْنِي وبيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِن نارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً. فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لو دَنا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ المَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا قالَ: فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لا نَدْرِي في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شيءٌ بَلَغَهُ،: {كَلَّا إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى إنَّ إلى رَبِّكَ الرُّجْعى أَرَأَيْتَ الذي يَنْهى عَبْدًا إذا صَلّى أَرَأَيْتَ إنْ كانَ على الهُدى أَوْ أَمَرَ بالتَّقْوى أَرَأَيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلّى}، يَعْنِي أَبا جَهْلٍ، {أَلَمْ يَعْلَمْ بأنَّ اللَّهَ يَرى، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بالنّاصِيَةِ، ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ، كَلَّا لا تُطِعْهُ}[العلق من ٦: ١٩]. زادَ عُبَيْدُ اللهِ في حَدِيثِهِ قالَ: وَأَمَرَهُ بما أَمَرَهُ بهِ. وَزادَ ابنُ عبدِ الأعْلى {فَلْيَدْعُ نادِيَهُ}، يَعْنِي قَوْمَهُ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٩٧ • [صحيح] •

شهور- أن الأمر انتهى، وأنه سينطلق الآن!...لا؛ بل، **الإنسان فُطر أنه يربو- إلا أن يشاء ربي شيئًا**.

فتخيل إنسانًا ينزل من بطن أمه ولا يزال يحتاج أن يرضع، لا يزال يبكي، ولا يتكلم ولا يستطيع أن يمشي، ويبدأ في الزحف... البذرة تتحول إلى نبتة صغيرة ، وتبدأ الجذور في النمو والساق والأوراق وتنمو. فالكون كله يربو، لماذا خلق ربنا الكون بهذا الوصف... فيه صفة التدرج؟

الشمس -مثلا- لا تشرق فجأة ثم تغيب فجأة! فتخيل لو أننا جالسين ووجدنا الشمس قد طلعت فجأة، ثم غابت مثلا في الساعة الخامسة أو الخامسة والثلث فجأة!.. لكن هذا لا يحدث! فهناك نوع من التدرج.

لماذا هذا التدرج؟ **من حكمة التدرج في الكون كله -في هذا النمو- أنه يظل يحتاج إلى الله عز وجل في كل لحظة من لحظات حياته**. فطالما أنك تكبر وتنمو: أنت تحتاج لله عز وجل، ما دام قلبك ينبض، مادامت الكُلية تعمل، مادامت الرئة تعمل، مادامت خلايا جسمك تنمو، ومادامت البذرة تنفلق فتصبح نبتة ثم شجرة، ومادامت السماء تتمدد؛ كل هذا يحتاج إلى الله عز وجل في كل لحظة من لحظاته. فالكون كله لا يستغني عن ربه لحظة واحدة.

الإنسان بمجرد أن يظن جاهلا خاطئا مخطئا أنه استغنى في مرحلة من المراحل عن ربه... لو ظن ولو للحظات بالاستغناء سيطغى. فالإنسان وهو في بطن أمه يحتاج إلى ربه، وهو رضيع يحتاج لربه.. هذه قد يسهل تقبلها وفهمها لأنه وهو علقة لا يستطيع أن يصل إليه أحد سوى ربه فيحتاج لله وكذلك وهو رضيع... فكيف إذا صار شابًا وبلغ أشده وبلغ ٣٠ سنة وأصبح رجلا معه شهادات ومعه أموال!.. أيضًا يحتاج إلى ربه.

طوال رحلة حياته يحتاج لربه وكذلك الكون كله هو أشبه بالعلقة يتعلق بالله عز وجل، الكون كله طوال الحياة يحتاج إلى ربه سبحانه وتعالى، لا تسقط ورقة إلا بإذنه سبحانه وتعالى. كل شيء يحتاج إلى ربه سبحانه وتعالى.

فجاءت البداية برب العالمين {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}... ومن صفات الربوبية الكثيرة صفة الخالقية، لماذا صفة الخلق؟ لماذا يبدأ بالكلام دائما عن الخلق؟! لأن الإنسان العاقل عندما يجد نفسه في أي مكان يسأل:

مَن أتى بي هنا؟ هذا سؤال منطقي، عندما يبدأ الإنسان ينظر يتأمل فقط ٣ دقائق... ينظر إلى ذراعه وقلبه ويده ورجله والشمس، يبدأ يسأل.. أول سؤال منطقي يقول: من؟! من أعطاني هذه الأشياء؟ من أعطاني يدين؟ من أعطاني رجلين؟ من أتى بي هنا؟ هذا طبيعي. إذا دخلت بيتك مثلا ووجدت أشياء جديدة أول سؤال ستسأله قبل أي شيء ما هذه الأشياء، ومن أتى بها؟... تخيل تعود إلى بيتك تجد البيت يمتلئ طعاما وشرابا و ملابس جديدة وكل ما تتمناه وتحتاجه وجدته في بيتك.. أمن المنطقي أن تدخل فتبدل ملابسك القديمة بالملابس الجديدة وتأكل وتنام؟! لا... هذا ليس منطقيًا أبدًا... هذه – أعزكم الله– أخلاق الأنعام، تجد طعاما فتأكل دون أن تفكر من أتى بهذا الطعام إلى هنا.

لكن الله يقول {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}[عبس:٢٤] الإنسان ينظر أولًا إلى ماذا؟ إلى طعامه، هذا طبيعي، لا أن يوضع له الطعام فيأكل ويمشي فحسب! إذا وجد يدين ورجلين يقوم فيعمل وحسب؟ لا.. بل الطبيعي أنه يقف ويسأل.

فالفطرة الطبيعية عندما تضغط عليها بصفة الخلق تستجيب، هذا أمر طبيعي... ومن أجل هذا كانت البداية مع الكفار بالضغط عليهم {ولئن سألتهم من خلق}[العنكبوت:٦١، لقمان:٢٥، الزمر ٣٨، الزخرف:٩] يقولون ربنا! فتبدأ تحدثهم بقاعدة (وبما أن... إذًا)، بما أنه سبحانه وتعالى الذى خلق إذًا له الأمر {ألا له الخلق والأمر}[الأعراف:٥٤].

عندما تفسد فِطَر الناس تسأله من خلق يقول لا أعرف! هذا ضائع... هذا يحتاج للبدء معه من قبل البداية!

إنما الكفار المشركين أعتى الناس وبالطبع معهم اليهود والنصارى وهؤلاء كانوا أعداء الإسلام؛ تسأله من خلق؟ يقول: الله، فتُكمل حديثك... فبدأ الغرب الآن يريد أن يمحو من أذهان الناس ذكر الخلق!

طغيان الأسباب الذى وصل له الإنسان، يعتقد أنه من الممكن أن يفعل كل شيء وأي شيء، يمكنه أن يكتشف سر الحياة، يفتشوا في الكون يبحثوا عن مكان آخر يعيشون عليه غير الأرض.. حتى بدأوا يسمونه "غزو الفضاء" لماذا غزو؟! ليس اكتشاف، انتبه للتعبيرات، **الإنسان عندما يبتعد عن الاتصال بالله وبالقرآن يكون عدائيًا**، غزو.. لماذا غزو؟ انت تغزو من؟ أتقصد أن تعادي الله؟! تغزو الفضاء؟! لماذا تنسى دائما أن لك ربًا؟ رب هو خالق كل شيء سبحانه وتعالى.

شاهدت فيلما تسجيليًا علميًا يشرح الكون والمجرات والمسافات والكواكب.. فيلم مبهر، أنت طوال مشاهدة الفيلم تجد نفسك تقول سبحان الله رغما عنك، إجبار، فتجد الرجل الذى يشرح في نهاية الفيلم بعد ساعة ونصف ماذا يقول؟ يقول: "ولا نعلم من الذي أتى بهذه الأشياء ولا نعلم ماذا سيحدث! ولا كيف أتينا! ولا كيف كانت البداية"، يا إلهى! لا تعرف!، أنت لو سألت طفلًا صغيرًا على الفطرة يقول لك الله، أي شخص على الفطرة يقول لك الله.. وهؤلاء علماء في الفلك ولا يعرفون! هذا هو طغيان الأسباب!

وهنا عندما نأتي فننظر لهذه المعادلة **{الذي خلق}= القدرة المطلقة، {خلق الإنسان من علق} بالنسبة للإنسان العلق= العجز المطلق**... ما هي العلقة؟ هي قطعة لحم متعلقة بجدار الرحم، تُغذى بالدم والسوائل وهي مُعَرضَة أن تنفك وتنهار وتسقط!

رأيت مشهدًا لشخص سقط في شلال، شلال جارف والشلال يلقيه يمينًا ويسارًا ثم وجد قطعة شجرة ظاهرة فأمسك فيها، وفي لحظة الشجرة بدأت تنفك وقدرًا جاء حيوان وبدأ يأكل في الشجرة، مشهد درامي مؤثر، وهو ينظر إلى الشجرة وهي تنفك... هذا هو الإنسان، متعلق، علقة في كل شيء، في كل خطوة من خطوات حياته... ولكن أحيانًا غطاء الأسباب يعميه. فالعلق هو العجز المطلق للإنسان.

{ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} ربنا كريم {الذي علم بالقلم} الإنسان جاهل. إذًا عندنا معادلة **الإنسان عاجز، الإنسان جاهل... الله قدير، الله كريم.**

طغيان الإنسان العاجز الضعيف عند استغنائه عن الله القدير الكريم

كان المتوقع الإنسان يطيع ربه.. تفاجأ الآية رقم ٦ بعد المقدمات الخمسة هذه {كلا إن الإنسان ليطغى}! يا إلهي ما هذا الإنسان!، ماذا أقول؟، ما هذا الدنو في المعاملة؟، عاجز جاهل، {خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين}[النحل:٤] إذا هذه يسموها في اللغة "إذا الفجائية" من نطفة فإذا هو...

ابنك مثلا أنت لم تخلقه {أأنتم تخلقونه}[الواقعة:٥٩]؟! أنت فقط أتيت له بالحفاضات وأطعمته وأنفقت عليه وأرسلته للحضانة ثم الابتدائي ويقول أريد شنطة وأريد حذاءً... فلما اشتد ساعده رماني، تخيل أول ما يكْبُر يبدأ يطغى عليك ولا يهتم بك ويقسو عليك، ما هذا، بم تسمى هذه الشخصية؟!

فتخيل عندما يتعامل الإنسان بهذا الجحود مع ربه!!!

بصق النبي صلى الله عليه وسلم في يده وقال: يقول الله عز وجل: (يا ابن آدم أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا)[٧]... أنسيت! ماذا معك؟ ما الذي أعماك؟ من أجل هذا {كلا إن الإنسان ليطغى} انظر إلى التأكيد الإنسان وردت ٣ مرات {خلق الإنسان من علق} إذًا الإنسان من علقة، {علم الإنسان} إذًا الإنسان جاهل، كان المتوقع الإنسان يطيع، {كلا إن الانسان ليطغى} ما هذا؟ ما هذه المفارقة الرهيبة بين المقدمات والنتائج ؟! مفارقة رهيبة

نسي أنه خلق من عدم، نسي أن ربه أكرمه، نسي حينما كان نطفة... كان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أي شيء حتى الهواء... لا يستطيع أن يفعل شيئا لنفسه، فالضغط على الفِطَر بصفة الخالقية تجعل الفطرة التي بها بقايا فطرة سليمة تستجيب.

من أجل هذا كانت البداية في القرآن بالخلق... وأيضا **صفة الخلق تجعلك مع الله لا تخاف شيئًا**، الخلق يعطيك يقين في قدرة الله، الخلق بالأخص... الرحيم واللطيف والرؤوف كل هذه صفات ترحمك فيها لطف أو الله يرحمك لسبب معين...لكن **الخلق هو الإيجاد من عدم، شيء غير موجود والله أوجده، هذه لا يستطيعها إلا الله.**

لأجل ذلك عندما قال سيدنا زكريا {أَنَّى يكون لي غلام}[مريم:٨]! قال الله: {وقد خلقتك من قبل}[مريم:٩] ذَكَّرَه بالخلق، حدثه عن صفة الخلق، فعندما تعجب زكريا كيف يأتي له ولد وامرأته عاقر وبلغ من الكبر عتيًا! قال تعالى {وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا} فذكَّره بصفة الخلق.

[٧] [عن بسر بن جحاش القرشي:] بزقَ النَّبيُّ ﷺ في كفِّه، ثمَّ وضعَ أصبعَهُ السَّبّابةَ وقال: " يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنّى تُعجِزُني ابنَ آدمَ وقد خلقتُكَ من مثلِ هذِهِ، فإذا بلغت نفسُكَ هذِهِ وأشارَ إلى حلقِهِ قلتَ: أتصدَّقُ، وأنّى أوانُ الصَّدقةِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح ابن ماجه ٢٢٠٥ • حسن •

صاحب الجنتين عندما رأى الجنات والأنهار والنخيل والعنب والأشجار {قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا}[الكهف:٣٥] معي أسباب وتلك الأسباب لا يمكن أن تذهب أبدًا!... فرد عليه صاحبه:{أكفرت بالذي خلقك}[الكهف:٣٧] هل نسيت أصلك ومن أين جئت؟! هذه الأشياء من أين جاءت؟! أين خالقها؟! أين مبتدِئ خلقها ونشأتها؟!

وتأمل جمال السياق القرآني {اقرأ باسم ربك الذي خلق} خلق هنا قالوا: المفعول محذوف أي خلق كل شيء، ثم {خلق الإنسان} لماذا لم يكتفِ الله بـ{الذي خلق} والإنسان مِن خلق الله؟! لماذا التركيز على الإنسان؟ كأن هناك عناية خاصة بخلق الإنسان... وكأن **من أخذ العناية الخاصة هو الذي طغى!**، كان من المتوقع عندما خلق الله كل شيء وخلق الإنسان بعناية خاصة -{ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي}[ص:٧٥] عناية خاصة... ثم سواه ونفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي }[ص:٧٢] .

هذه العناية الخاصة كانت تستوجب مزيد شكر.. لكن الكون كله يقول: {أتينا طائعين}[فصلت:١١] والإنسان الذي أخذ العناية الخاصة يطغى!! ما هذه المفارقات العجيبة؟!

{خلق الإنسان} كمال العناية.. {من علق} هذا أصله، وخلق الإنسان: أي كل الناس، فعندما تنظر إلى الوزير والرئيس والملوك والطبيب والمهندس... كلهم علق! وهذه مقدمة حتى عندما تتعامل مع أمثال أبي جهل الذين سيُذكَرون الآن معنا في الآيات... فأبو جهل هو الذي منع.. فعندما تتعامل مع أمثاله تعرف أن أصله علقة، فتعامله على قدره وتعطي له حجمه الحقيقي.

القرآن يبصرك بحقيقة الأشياء

نحن قُلنا أن القرآن يجعلك تبصر الأشياء على حقيقتها، فتعطي لكل شيء وكل أحد حجمه الحقيقي... لأجل ذلك كان سيدنا موسى يقول لبني إسرائيل: أتخافون من فرعون ومن معه؟ {عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض}[الأعراف:١٢٩] يجعلكم مكانهم بعد أن يهلكهم... كيف لهذا أن يتم و بني إسرائيل فيما كانوا فيه؟!... تخيل لو نحن في٢٤ يناير عام ٢٠١١- قبل الثورة بيوم- وأقول أن الله لا يعجزه أن يزيل الرئيس ويأتي بأحد مكانه أنت ستقول تتعجب... هذا ليس فقط

في الأحلام بل –عند أمن الدولة– هذا في الكوابيس! وأنت عندما تتخيل تظن أن هذا سيحدث عند أحفاد أحفاد أحفادك ،وتظن أنه سيكون بسبب شيء ينزل من السماء مثلًا!، أنت لا تتخيل أن بأسباب بسيطة جدًا من الممكن {أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض}.

قوم عاد قالوا {من أشد منا قوة}[فصلت:١٥] بمَ أهلكهم الله؟ بريح.. ببعض الهواء.. لم يستطيعوا أن يقفوا أمام بعض الهواء.. فالإنسان يطغى.

قرأت أثرًا مضحكًا في الطبري –من الإسرائيليات– أن سيدنا موسى وهو معه بني إسرائيل يفرون من فرعون... فضرب البحر فانفلق البحر! فدخل موسى وبنو إسرائيل ((أنا متوقع أن فرعون أول ما يرى هذا المشهد يقول ما هذا ويقول آمنت!)) ولكنه عندما رأى هذا المشهد التفت إلى جنوده وقال ألا ترون البحر فُلِقَ فَرَقًا مني؟ ألا ترون؟ ...لقد فُلِقَ لموسى قبلك.. هل البحر من شدة خوفه فُلِقَ مبكرًا من مسيرة شهر؟ ما هذا الغباء؟ الأعجب أن من معه صدقوه ومشوا.. أنا غير متخيل.. مشهد ساخر!!!

عندما أقرأ في سورة الزخرف...قول فرعون في الآيات: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}[الزخرف:٥١] هو الآن يريد أن ينفي أن موسى نبي فيقول لهم: –انظروا إلى الخطاب العقلي لكي يقنعهم – يقول: {فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ}[الزخرف:٥٣] هو يعقد مقارنة بينه وبين نبي الله موسى –عليه السلام– {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ}[الزخرف:٥٢-٥٣]

أنا أشعر أن هذا خطاب لأطفال.. يستخف بهم ويقول لو كان معه ذهب.. العجيب الآية التي تليها.. الناس مستجيبة! {فاستخف قومه فأطاعوه} صدقوه! ما هذا؟! كيف يصدقون هذا الكلام؟! أنا غير متخيل.. صدقوا الكلام.. أسورة ذهب تنزل! صدقوا هذا الكلام! {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} كانوا خِفاف العقول {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}.

فالشاهد؛ أن **القرآن يبصرك.. تعرف حقيقة عاد وفرعون وأمثال أبي جهل.. حقيقتهم علق... وتعرف قدر من تَعبُد و لمن تسجد ومن أنزل هذا القرآن... إنه الذي "خلق"، قدرة مطلقة، يفعل ما يشاء في كونه**. لأجل ذلك سيدنا إبراهيم يرى النار وغير خائف فمن خلقها يطفؤها؛ الأمر كله بيده سبحانه وتعالى، رأى سيدنا ابراهيم الأشياء على حقيقتها.

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} إذًا أنت كنت ممتنعًا عن القراءة لسببين:

*لعجزك...فأنت عاجز،

*ولجهلك.. لأنك جاهل

أما ربك ...فربك قدير وربك كريم.. فاسلك هذا الطريق. أنت سائر في طريق ربك الذي لطالما رباك بنعمه –سبحانه وتعالى–، ربك قدير وربك كريم. فعندما قال ربنا لسيدنا موسى {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} في سورة طه، فسيدنا موسى طلب مطالب ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝ هَارُونَ أَخِي﴾[طه: ٢٥-٣٠] فلما طلب هذه المطالب قال له الله {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى} وهذه ليست أول مرة {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ}[طه:٣٩]... إذًا الذي طالما رباك بنعمه –ربنا ابتدأك بالنعم وأنت لم تفعل أي شيء بعد– أفلا يتم نعمته عليك وأنت تطيعه؟!

ربنا عندما يقول للنبي صلى الله عليه وسلم {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}[الضحى:٦-٨] أليس هذا وأنت كنت لم تفعل شيئًا بعد! ابتدأك بنعمه سبحانه وتعالى... فعندما ستطيعه وترضيه سيعطيك بالتأكيد... فالذي رباك بنعمه من قبل أن تفعل شيئًا أفلا يتم نعمته عليك وأنت تطيعه!..{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} فقط توكل أنت عليه وربك كريم.

{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} بعضهم أشار أن **معاملة الله قد تكون بأسباب، وقد تكون بغير أسباب**، {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ *كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى} **عِلْمٌ بدون افتقار = طغيان!** الآيات تتحدث عن العلم أنه علم الإنسان، فمن سيتعلم العلم وهذا العلم لا يزيده سجودًا واقترابًا، فالسورة بدأت ب {أقرأ} وختمت ب {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} إذًا من يقرأ يسجد ويقترب، من يتعلم يزداد خشية "إنما العلم الخشية" مثلما قال ابن مسعود، {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[فاطر:٢٨] سورة فاطر، إذًا **العلم الذي لا يزيدك خشية يزيدك طغيان –والعياذ بالله–.**

سبب وعلاج الطغيان

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾

{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ* كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى} لماذا يطغى الإنسان؟ لماذا يبدأ الإنسان يشعر بالطغيان؟ تلاحظ أفعال الإنسان الذي يطغى في علاقته بالله، ما السبب الرئيسي لطغيانه؟>>> {أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} {رَآهُ} "الهاء" عائدة على من؟ لو نريد حذف الضمير-الهاء- نضع مكانها؟..."نفسه" أي: رأى الإنسانُ نفسَه، بمجرد ما تبصر وتعتقد في قدراتك ستبدأ تطغى!!!

انظر مثلًا واحد مريض على سرير المرض ستجده يهتف: يا رب يا رب يا رب، بمجرد ما يضع رجله فقط خارج المستشفى... بل لو كان نائما وبدأ يجلس، يبدأ ينسى، ينسى الاحتياج أول ما يشعر الاستغناء بالصحة او الاستغناء بالمال يبدأ يطغى. **غشاوة الأسباب التي تجعل الناس تطغى**.

المشركين في متنصف البحر قالوا: يا رب، المشركين لما أصبحوا في منتصف البحر، قالوا: يا رب، لما فقدوا الأسباب قالوا: يا رب، فطبيعي أن أي حد يفقد الأسباب يقول: يا رب، أما أناس تدخل منتصف البحر الهائج ولا تقل: يا رب، تلك مصيبة أخرى أعظم... هذا مثل الذي تسأله من الذي خلقك؟ يقول لك لا أعلم، هؤلاء شواذ الفطر أصلًا... فطبيعي أن **الإنسان لما يبتعد عن الأسباب يفتقر لله**، فربنا يقول لك: لا بد أن **تنظر إلى الأسباب على أنها لا تساوي شيئًا إلا بالله**، لا بد، ليس معنى أنك عند عضلات أنك قوي وتستطيع... لا، الموضوع ليس هكذا!

فلا بد للإنسان ألا يطغى بالأسباب {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى} السبب الرئيسي: {أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}

هذا الإنسان-الذي يطغى-تُذكره بأي شيء؟ أو هو كيف يعود؟ {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} لابد أن يُذكر أن هناك يوم سيرجع لربه... انتبه أن {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} هذا خطاب للإنسان الطاغي، وخطاب أيضا للإنسان المذكور في بداية السورة؛ إنسان فقير جاهل عاجز، بدأ يجاهد، وبدأ يتقرب الشبر الأول إلى الله، ربنا يقول له: سترجع لربك، وهذه المجاهدة ستثاب عليها وعلى كل خطوة خطوتها فيها {وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء:١٢٤] ولا قطميرا ليس هناك شيء ستُظلَمه.

إذًا {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} ربنا يخاطب الإنسان الذي يطغى: تذكر أن هُناك يوم سترجع لربك، وسُتسأل وتحاسب ، **فعلاج الطغيان: تذكُر الدار الأخرة** {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۩ ﴿١٩﴾

أعداءك يرقبونك

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى} من أول سورة في القرآن وربنا يُوضح أن في هذا الطريق الناس لن تتركك تسير، هناك أعداء جالسين لك على الطريق، وهؤلاء الأعداء ليس مثلًا لما تأتي تدعو إلى الله يمنعوك أو لما تأتي تطلب العلم سيمنعونك، أول لما تأمر بالمعروف أو تنهى عن المنكر سيمنعونك، لا لا... بل **بمجرد أن تصلي يمنعونك** {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صلى} ليس عبدًا صلى وانتهى، بل {عَبْدًا إِذَا صَلَّى} بمجرد الذي في الصلاة ينهونك عنها!، هناك أعداء يرقبونك منتظرين لحظة دخولك إلى المسجد فيمنعوك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلها)[٨] قاعد لك، بأطرقه ماذا؟ كلها، ليس جالسًا لك في سبل الإصلاح، وسبل الصلاح تاركك، لا... هناك ناس ستنهاك حتى عن الصلاة {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى} فربنا يقول للذي ينهى عبدًا إذا صلى: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى} ألا يمكن أن يكون الذي تنهاه على الحق والصواب؟

تأمل الخطاب القرآني لشخص يعادي الإسلام!

٨ [عن سبرة بن الفاكه المخزومي الأسدي:] إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِهِ، فقعدَ لَهُ بطريقِ الإسلامِ، فقالَ: تُسلمُ وتذرُ دينَكَ ودينَ آبائِكَ وآباءِ أبيكَ، فعَصاهُ فأسلمَ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الهجرةِ، فقالَ: تُهاجرُ وتدَعُ أرضَكَ وسماءَكَ، وإنَّما مثلُ المُهاجرِ كمَثلِ الفرسِ في الطِّولِ، فعَصاهُ فَهاجرَ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الجِهادِ، فقالَ: تُجاهدُ فَهوَ جَهْدُ النَّفسِ والمالِ، فتُقاتلُ فتُقتَلُ، فتُنكَحُ المرأةُ، ويُقسَمُ المالُ، فعصاهُ فجاهدَ، فقالَ رسولُ اللَّهِ: فمَن فعلَ ذلِكَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدخِلَهُ الجنَّةَ، ومن قُتِلَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدخِلَهُ الجنَّةَ، وإن غرِقَ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدخِلَهُ الجنَّةَ، أو وقصتهُ دابَّتُهُ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدخِلَهُ الجنَّةَ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح النسائي ٣١٣٤ • صحيح •

ماذا يقول له؟ ...كما في سورة سبأ: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[سبأ:٢٤] ربنا يقول: أنت تقول لهم "أحدنا على الحق، والآخر في ضلال" لأن لا يمكن الاثنين على صواب!!!...

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وسلم.

مرة أخرى **هذه السورة تعطيك البداية الصحيحة، والذي سيبدأ من غير سورة العلق سيضل، البداية: تبين مقدار فقر الإنسان وعجزه وجهله... البداية: مقدار قدرة ربنا و كرمه ربنا، ومقدار حلم ربنا على هذا الإنسان الذي يطغى. البداية: أن الركون للأسباب تجعل الإنسان يطغى!..**

هذه البداية هي بداية القرآن نزولا... أكثر من ٦٢٠٠ آية و١١٤ سورة هذه البداية، بداية هذا الطريق الطويل، أي أن هذه أسس، إذا سقط عمود منها او غاب يحدث انهيار، كما في أركان، وفي واجبات، وفي سنن... هذه أعمدة، لا يصح أن تغيب عن قلوب الناس و أفعالها وأفكارها.

بداية من غير صلاة بداية لا تثمر

البداية أن هناك ناس لن تتركك، البداية أن هذه الناس ستنهاك حتى عن الصلاة... البداية أهمية الصلاة، **الذي بدايته ليس فيها صلاة قوية، سواء في الفروض أو في قيام الليل هذه بداية ضعيفة، بداية لا تُكمل!** {عَبْدًا إِذَا صَلَّى} وربنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم في آخر السورة بالسجود {لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ} كأنها {وَاسْجُدْ} أي واستمر في السجود، كان النبي صلى الله عليه وسلم يُديم السجود، وهذه البداية. فبداية من غير صلاة بداية لا تثمر، أي إنسان لا يقرأ القرآن في قيام الليل، أي لا يقوم الليل بالقرآن هذه بداية ضعيفة كيف سيُكمل؟! لا توجد له بداية مشرقة ولا محرقة، ولا أي بداية!

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى}.

نعود للخطاب القرآني؛ ربنا يقول للذي ينهى عن الصلاة {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى} الذي أنت تنهاه، لم يقل: بل هو على الهدي، وهو حتمًا على الهدى صلى الله عليه وسلم، فربنا... تأمل جمال الخطاب، فكر؛ ألا يمكن أن يكون هو على صواب؟... [مثلما قال مؤمن آل فرعون للملأ من قومه: هناك احتمالين:الأول*{إِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ}[غافر:٢٨]

لكن هناك احتمال ثان*{إِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ}

، والاحتمال الثاني عواقبه ليست بسيطة، هناك احتمال أن يكون صادقا محقا.]

فربنا يقول له: {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى}

وهناك قول آخر- ليس معنى الآية أن هذا نقاشًا عقلانيًّا- بل معنى {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى}:أفتنهاه لأجل أنه يصلي ولأجل أنه يأمر بالتقوي! ألأجل هذا تنهاه! أي عقل تملكه؟! وأي تفكير تفكر؟! ءلأنه يصلي تنهاه؟!...مثل قوله تعالى {أخرجوا آل لوط من قريتكم}[النمل:٥٦] لماذا؟ {إنهم أناس يتطهرون}! ألأجل أنهم يتطهرون، ألا لأجل أنهم يصلون!

كما يُقال فلان متشدد، لماذا؟ لأنه يتكلم عن الدار الآخرة، حقا؟!... فلان متشدد، لماذا؟ لأنه يقول حرام وحلال، عجبا! ماذا تريدونه أن يقول!!! ، فلان متشدد، لِمْ؟ يقول: كلمة كافر، أليس القرآن ملئ بكلمة كافر، أتريدون جعل كل الناس مؤمنين !!!... وهنا في السورة... لِمَ تنهاه ؟ لأنه يصلي!!!

المشركين في مكة فَزِعوا!... فزعوا من صلاة أبي بكر في ساحة داره، كان يصلي فصوته يبلغ الناس، كان رجلا أسيفا، فكان النساء والصبيان يأتون ليسمعوا صلاة أبي بكر، فخافوا من صلاته. تأمل: خافوا!... الناس الآن لا تخاف من دعوتنا، **هم كانت صلاتهم يمكن أن تُغير... فقط سماع الصلاة!**.

لذلك لما قوم شعيب شعروا أنه تغير فجلسوا يبحثون ما الشيء الذي غيره، وجدوه الصلاة، فقالوا له: {أصلاتك تأمرك} [هود:٨٧] كأنه لا يوجد شيء تغير فيه غير الصلاة، والصلاة هي المحرك الأساسي الذي يأمره وينهاه، وجدوا أن الصلاة تغير فيه بالفعل، الصلاة تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، فقالوا: {أصلاتك تأمرك} كأن الصلاة هي التي تأمره

﴿قالوا يا شُعَيبُ أَصَلاتُكَ تَأمُرُكَ أَن نَترُكَ ما يَعبُدُ آباؤُنا أَو أَن نَفعَلَ في أَموالِنا ما نَشاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الحَليمُ الرَّشيدُ﴾[هود: ٨٧]

ما الذي حدث لك؟ ما الشيء الذي غيرك؟ لماذا غيرتك الصلاة هكذا؟... {إنك لأنت الحليم الرشيد} قيل إما: كنت حليما رشيدا فما الذي غيرك؟!... أو استهزاء {إنك أنت الحليم الرشيد}.

فالشاهد أنهم كانوا ينهونهم عن الصلاة، لأن **الصلاة لم تكن تغير فيهم فقط بل أيضًا فيمن حولهم**. تخيل عندما يغير مشهد الصلاة الناس.

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى *أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى}

لكن هذا الذي ينهى عن الصلاة، ماذا يفعل هو؟ أي أنت ترى من يصلي سيء!، فماذا عنك إذًا، ماذا تفعل أنت؟ على سبيل المثال: عندما تستضيف إحدى المذيعات المتبرجات شخصًا إسلاميًّا وتوجه إليه التهم طيلة الحلقة أنه شخص سيء ومتشدد وجاهل ومخرف ومخرب ومدمر للاقتصاد حسنًا أنا شخص سيء، ما الحلول التي لديكِ إذًا؟ ما البديل الذي تقدمه أنت ؟ أنا الآن شخص سيء قدم أنت بدائل صحيحة!

مثلما قال سيدنا شعيب لقومه: {لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ}[هود:٨٩] أي أنه ليس معنى أنك تكرهني وتكره ما أنصحك به أن تدخل أنت النار!، أنا شخص سيء -في نظرك- فهل هذا يعني أن تقوم أنت برمي نفسك في جهنم!!... اعبد أنت الله، وطبق أنت الإسلام الذي ترى أنني لا أطبقه... أنت تقول بأن هذا ليس هو الإسلام، إذًا طبق أنت الإسلام! هل الإسلام هو العري والفجور؟! طبق أنت الإسلام.

الله -سبحانه وتعالى- يقول له: {أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} هو لم يفعل شيئًا غير أنه كذب وتولى، هل هذا هو البديل؟ أي أتنهاه وترى أن هذا هو البديل... التكذيب والتولي!!

{أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} إذًا هذه السورة إلى الآن بها نوعان من التهديد، الأول:

- *{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، هذا يوم القيامة،
- وقبلها إلى أن تلقاه ، طوال هذه الحياة {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}

هذا الشعار مهم جدًا. هذا الشعار لا نخاطب به الأعداء فحسب، بل يجب أن يكون شعارك أنت حين تقدم على أي عمل {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}.

هذا الشعور يدفع الذي يعادي الإسلام إلى أن يخشى الله ويخافه –سبحانه وتعالى–، فالله يراك وسيحاسبك على كل كلمة قلتها، و أيضا هو زاد الإنسان في الطريق إلى الله لكي يخلص في كلامه وأفعاله لله –عز وجل–...تخيل شعارك في حياتك {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} ألا تعلم أن الله يراك؟.

{كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} إن الله يدافع عن الذين آمنوا، فقد قال أبو جهل عندما نهر الرسول –عليه الصلاة والسلام– وأغلظ له القول عند الكعبة: أنا أكثر هذا الوادي ناديًا، لا أحد يستطيع أن يحاسبني، ألم تعلم بأني أكثر هذا الوادي ناديًا؟ لئن رأيت محمدًا يعفر وجهه بين أظهركم لأطأن عنقه![9]<<< {إن الله يدافع عن الذين آمنوا}[الحج:٣٨] {كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية} أي: يُدفع بقوة ويؤخذ بناصيته ويُلقى في جهنم –والعياذ بالله.

{لنسفعًا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية} هذا "تنزل في الخطاب"، أي: إذا كان عندك من الناس من تتقوى به فإن هناك زبانية ينتظرونك يدفعونك إلى جهنم دفعًا –والعياذ

٩ [عن عبدالله بن عباس:] كان يُصلِّي عند المقامِ، فمرَّ به أبو جهلِ بنِ هشامٍ، فقال: يا محمدُ ألَمْ أنهَكَ عن هذا؟ و توعَّدَه، فأغلظ له رسولُ اللهِ وانتهرَه، فقال: يا محمدُ بأيِّ شيءٍ تُهدِّدُني؟ أما واللهِ إني لأكثرُ هذا الوادي ناديًا، فأنزل اللهُ فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال ابنُ عباسٍ: لو دعا ناديَهُ أخذتْهُ زبانيةُ العذابِ من ساعتِه
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٢٧٥ • إسناده صحيح على شرط مسلم •

بالله-، وأنت لا تستطيع أن تدفع عن نفسك ولا النادي الذي معك يستطيع أن يدفع عنك. {سندع الزبانية} الزبانية من الزبن وهو الدفع بقوة. {سندع الزبانية}

{كلا لا تطعه واسجد واقترب} إذًا الله -سبحانه وتعالى- ذكر خطابين في ختام السورة، خطاب للذي نَهى وخطاب للذي نُهي... خطاب لأبي جهل وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم... خطاب لمن سار على درب أبي جهل وخطاب لمن سار على درب النبي صلى الله عليه وسلم.

الخطاب لمن سار على درب أبي جهل: اعلم أن الله يراك، وأن الله سيعاقبك وإذا ظللت على ما أنت عليه سوف ينزل بك عقاب الله مهما كان معك من قوة ومن أسباب... وهنا نجد أن قضية الأسباب في السورة واضحة جدًا، الاستغناء بالأسباب -وإن كثرت- لن تغني عنك شيئًا من أمر الله، كما حدث مع أبي جهل عندما استغنى بما معه من أنصار! **والخطاب لمن سار على درب النبي صلى الله عليه وسلم: {لا تطعه واسجد}**.

الجمال في ختام السورة أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تسجد، ولم يقل "لا تصل"، بل قال أنه إن رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعفر وجهه- أي في السجود- فجاء الأمر بنفس الشيء الذي نهاك عن عمله.

فإن نهاك مثلًا عن الحديث في الولاء والبراء، تحدث فيه، لأنه إنما نهاك عنه لأنه يدرك خطورته، لذلك عليك أن تستمر في عمل ما نهاك عنه. مثل أن ينهاك عن الحديث عن أحكام الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، فتقوم أنت بفعل ما نهاك عنه وتتكلم عن أحكام الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، لأنه عندما ينهاك عن شيء فهو لا ينهاك اعتباطًا، بل هو يدرك خطورة ما ينهاك عنه ويعرف تأثيره، فتتضح لك من هذا قيمة الشيء الذي نهاك عنه. فأحيانًا لا ندرك قيمة الأشياء إلا عندما ينهانا أحدهم عن فعلها، نكون غير مدركين لقيمتها من الأساس، فهو أفادك من حيث لايدري عندما نهاك عن فعل شيء ما، أفادك أن تدرك مدى قيمة هذا الشيء.

عندما قال الله -سبحانه وتعالى-: {اسجد} بين له قيمتها، {واسجد واقترب}... فأحيانًا أنت لا تعرف قيمة ما ينهاك عنه الأعداء، لكن هم يعرفون لأنهم جربوا تأثير ذلك في أنفسهم وفي غيرهم. مثلا عندما يقولون: {لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه}[فصلت:٢٦] هم يعرفون تأثير القرآن، وعندما يقولون: {ائت بقرآن غير هذا}[يونس:١٥] هم أيضًا يعرفون تأثير هذا القرآن، لأنهم جربوا تأثير هذا

القرآن في أنفسهم وفي غيرهم. فأنت الآن تعرف قيمة هذا الذي نهاك عنه، فهذا يجعلك تزداد تمسكًا به، وهذه هي النقطة الأولى.

النقطة الثانية: أنه ليس فقط: {كلا لا تطعه} وجاهده وحاربه وحسب، لا... بل ولا تنشغل به... لم يؤمر بالسجود فحسب... لا، بل{واسجد واقترب}، هذا له معانٍ إيمانية عالية= كأن **انشغالك بعلاقتك بالله وبالوصول إلى الله وبالقرب من الله شغلك عن أي شيء آخر حتى لو كان تهديدًا بالقتل**... أتتخيل هذا؟... أي أنك ترغب في الوصول إلى الله –سبحانه وتعالى–...وأخيرًا وجدت الطاعة التي ستقربك إليه –سبحانه–، فتتمسك بهذه الطاعة التي ستقربك من الله، حتى لو كانت هذه الطاعة محاطة بمخاطر منها القتل، إحساسك وانشغالك أن تصل إلى الله شغلك عن أي شيء آخر.

فمثلًا إذا كان هناك قطار سيوصلك إلى الاسكندرية وأنت لا بد أن تذهب إلى الإسكندرية، فقالوا لك هذا الطريق عليه قُطاع طرق، فأنت تسأل هل سيوصلني هذا الطريق؟ نعم ولكن هناك قُطاع طرق... هل يُوصِل هذا القطار؟ نعم ولكن احذر إذا ركبته يقال أن هناك أناس تموت!

ولله المثل الأعلى... هل هذا الطريق يُوصِل؟ هل هذا الطريق يُقَرِّب؟ نعم... لكن هناك مخاطر! هل هذا الطريق يُقَرِّبني؟... أنت منشغل بقربك وبتحصيل أسباب القرب من الله، هذا يهمك عن أي شيء آخر! حتى إذا كان تهديدًا بالقتل!، أنت مشغول بغايتك{واسجد واقترب}... الله دلك على وسيلة القرب منه –سبحانه وتعالى– أفتنشغل عنها لأمر علقة! أَبَعد أن دلني الله –عز وجل– على أمر يقربني منه سبحانه وتعالى انشغل عن هذا الأمر وعن قربي من ربي الذي خلقني وأكرمني – في أول السورة– ءأنشغل عنه لأمر شخص–علقة– كائنا من كان؟!!

ومن الجمال –مثلما كان يقول د. حازم شومان جزاه الله خيرًا كان يعلمنا– يقول الجمال في شكل السجود بالذات، وأنت ساجد هذه هي الوضعية الوحيدة التي لا ترى فيها ما خلفك وما حولك وأنت تصلي!... وأنت قائم إذا جاء أحد ليضربك ستتحرك بسرعة، وإذا كنت راكعًا أيضا ستتحرك، وإذا كنت جالسًا وترى ستتحرك، لكن وأنت ساجد أنت في قمة الاستغراق في الصلاة تمامًا.. أنت لا ترى.

هو سيأتي ليقتلني وربنا يقول لي: استمر على السجود!، وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا، في حديث البخاري يوضَع عليه سلا الجزور والنبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا ثابتا[١٠].

سرعة الاستجابة تأتي بالانشغال بالمعاني الإيمانية

من جمال الأمر أيضًا في {كلا لا تطعه واسجد واقترب} أن السورة لم تبدأ ب {كلا لا تطعه واسجد واقترب} لا.. الآيات قبلها تهييج للمعاني الإيمانية بداخلك، تعطيك الطاقة لكي تفعل هذه الأفعال... أي أن الكلام {اقرأ} تعلم وأقرأ القرآن... تفهم وتقرأ عن صفات الله وكيف أن الله قدير، وكيف أنه كريم، وتعلم أن الإنسان علقة وكيف أنه جاهل، وكيف أنه عاجز، بعد كل هذه المقدمات >>>عندما يقول الله لك: {كلا لا تطعه واسجد واقترب} تستطيع أن تطبق هذا الأمر بسلاسة.

مثلما قالت أمنا عائشة: "أول ما نزل من القرآن المفصل فيه ذكر الجنة والنار، ولو كان أول ما نزل "لا تزنوا" لقلنا: لا، "لا تشربوا الخمر" لقلنا: نشرب"[١١].

---

١٠ [عن عبدالله بن مسعود:] بَيْنَا رَسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحابٌ له جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بالأمْسِ، فَقالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إلى سَلا جَزُورِ بَنِي فُلانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ في كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إذا سَجَدَ؟ فانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فأخَذَهُ، فَلَمّا سَجَدَ النبيُّ ﷺ وَضَعَهُ بيْنَ كَتِفَيْهِ، قالَ: فاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ على بَعْضٍ وَأَنا قائِمٌ أَنْظُرُ، لو كانَتْ لي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عن ظَهْرِ رَسولِ اللهِ ﷺ، والنبيُّ ﷺ ساجِدٌ ما يَرْفَعُ رَأْسَهُ حتّى انْطَلَقَ إنْسانٌ فأخْبَرَ فاطِمَةَ، فَجاءَتْ وَهي جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عنه، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عليهم تَشْتِمُهُمْ، فَلَمّا قَضى النبيُّ ﷺ صَلاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعا عليهم، وَكانَ إذا دَعا دَعا ثَلاثًا، وإذا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاثًا، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ، عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ ثَلاثَ مَرّاتٍ، فَلَمّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ، عَلَيْكَ بأَبِي جَهْلِ بنِ هِشامٍ، وَعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَشَيبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، والْوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَذَكَرَ السّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بالحَقِّ، لقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمّى صَرْعى يَومَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إلى القَلِيبِ، - قَلِيبِ بَدْرٍ -.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٧٩٤ • [صحيح] •

[عن عبدالله بن مسعود:] كانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي في ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقالَ أبو جَهْلٍ: وناسٌ مِن قُرَيْشٍ، ونُحِرَتْ جَزُورٌ بناحِيَةِ مَكَّةَ، فأرْسَلُوا فَجاؤُوا مِن سَلاها وطَرَحُوهُ عليه، فَجاءَتْ فاطِمَةُ، فألْقَتْهُ عنْه، فَقالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ لأبِي جَهْلِ بنِ هِشامٍ، وعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وشَيبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، والوَلِيدِ بنِ عُتْبَةَ، وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ، وعُقْبَةَ بنِ أبِي مُعَيْطٍ، قالَ عبدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ في قَلِيبِ بَدْرٍ قَتْلى، قالَ أبو إسْحاقَ ونَسِيتُ السّابِعَ، قالَ أبو عبدِ اللَّهِ: وقالَ يُوسُفُ بنُ إسْحاقَ، عن أبِي إسْحاقَ: أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، وقالَ شُعْبَةُ: أُمَيَّةُ أوْ أُبَيٌّ والصَّحِيحُ أُمَيَّةُ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٩٣٤ • [صحيح] •

١١ [عن عائشة أم المؤمنين:] إنِّي عِنْدَ عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، إذْ جاءَها عِراقِيٌّ، فَقالَ: أيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قالَتْ: ويْحَكَ، وما يَضُرُّكَ؟ قالَ: يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قالَتْ: لِمَ؟ قالَ: لَعَلِّي أُؤَلِّفُ القُرْآنَ عليه، فإنَّه يُقْرَأُ غيرَ مُؤَلَّفٍ، قالَتْ: وما يَضُرُّكَ أيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيها ذِكْرُ الجَنَّةِ والنّارِ، حتّى إذا ثابَ النّاسُ إلى الإسْلامِ نَزَلَ الحَلالُ والحَرامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا

فالبداية قبل {لا تطعه} أنك **لا بد أن تعيش في معاني القرآن لكي يمكنك أن تطبق هذه الأفعال**، هذه الأفعال ليست زر ستضغط عليه فيعمل، لا... الأمر ليس كذلك، الأمر أنك لا بد أن تتعرض لـ{اقرأ} لمعاني القرآن، وأن تعامل الله –سبحانه وتعالى–، وتصلي {عبدا إذا صلى}، وتبدأ تقف في وجه الأعداء شبرًا بشبر وذراعًا بذراع... بالتدريج.

هذه المجاهدة وهذه المعاني تجعل قلبك يقبل كلمة {كلا لا تطعه واسجد واقترب}... فعندما تنزل {لا تطعه واسجد واقترب} ماذا تفعل أنت على الفور؟ تسجد مباشرةً... لذلك هي آية سجود...فالآيات التي قبلها كأنها مهدت قلبك لقبول هذا الأمر. فعندما يقول لك {لا تطعه واسجد واقترب} لم يعد بداخلك أسئلة، كيف؟! من الممكن أن يؤذيني.. من الممكن أن يقتلني، علي أن انظر إلى المصالح والمفاسد، لم تعد هذه الاسئلة بداخلك...الآيات التي سبقت مهدت، وطأت قلبك﴿ أَشَدُّ وَطْئًا﴾[المزمل: ٦] دهست كل الأفكار السيئة والوسوسة التي في قلبك، نسفتها نسفًا... فتنزل{لا تطعه واسجد واقترب} تجد قلب يستقبلها فتسجد وتقترب حقًا وتزداد قربًا من الله –عز وجل– بالسجود بعد هذه المقدمات.

وهذه **أهمية أن يكون الإنسان دائمًا منشغلًا بمعاني القرآن فيكون قلبه سريع الاستجابة**، الإنسان المنشغل دائمًا بمعاني القرآن ويحاول مجاهدة نفسه على تطبيقها ويحاول أن يتخلق بأخلاق القرآن كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن... من يحاول فعل ذلك تجد قلبه وعقله وجوارحه سلسة في الاستجابة لأمر الله –عز وجل– ،لأن قلبه ممهد ليس مليئًا بالحواجز، بل هو قلب سهل لين في التعامل مع الله –عز وجل–، سمح في قبول الأوامر والنواهي.

الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ على مُحَمَّدٍ ﷺ وإنِّي لَجارِيَةٌ ألْعَبُ: {بَلِ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسّاعَةُ أدْهى وأمَرُّ} وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّساءِ إلّا وأنا عِنْدَهُ، قالَ: فأخْرَجَتْ له المُصْحَفَ، فأمْلَتْ عليه آيَ السُّوَرِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٩٩٣ • [صحيح] •

فهذه كانت وقفات سريعة مع سورة العلق، نسأل الله –عز وجل– أن ينفعنا بها، ونسأله –سبحانه وتعالى– أن يمن علينا بفهم كتابه –سبحانه وتعالى– وبالعمل بما فيه، وألا يحرمنا من تدبر كتابه – سبحانه وتعالى– ومن العمل بما فيه.

ختاما نقول سورة العلق هذه البداية الصحيحة، النظرة الصحيحة للعمل الصحيح... تبدأ بمعرفة قدر الإنسان والربوبية والخلق وقدرة الله المعجزة، وكيف أن الأسباب تحجب الإنسان عن صفات الله – سبحانه وتعالى–، هذا الطريق هناك من سيمنعك حتى عن الصلاة، ليس فقط عن الدعوة... هذا الطريق لا بد فيه من جهاد، هذا الطريق لا بد فيه من ثبات، هذا الطريق لا بد فيه من سجود واقتراب، هذا الطريق لا بد أن تُعرِضَ ولا تطيع من يحاول أن يبعدك عن الله –عز وجل– ولو بسجدة، ابتعد عنه ولا تطعه، نسأل الله –عز وجل– أن يثبتنا وأن يستعملنا في طاعته.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك.